فكرية ، وبالتالي فان الصيغ التي تمت كانت شكلية لم تحقق صيغة معينة تدفع باتجاه تطوير مدى التعامل الحقيقي بين هذه المنظمات في اتجاه وحدة حقيقية او على الاقل اتحاد حقيقي . لقد كان كل فريق ينطلق ، في اعتقادي ، في قبوله للصيغ التوفيقية او عدم قبوله لها ، مما يراه في صالح تنظيمه وليس مما يراه لمصلحة القضية الفلسطينية رغم ان الشعار العام الذي رفعه الجميع هو العمل من اجل مصلحة النضال الفلسطيني ومصلحة القضية الفلسطينية .

هنا نأتي الى النقطة الثالثة المتعلقة بتعاملنا مع الجماهير الفلسطينية . في الحقيقة ، كان تعاملنا مع هذه الجماهير واعيا ومدروسا لكنه لم يؤد الى التلاحم الوثيق ، لان التعدد الموجود في الساحة الفلسطينية بما يحمله من اختلاف وتناقض في المنطلقات الفكرية وفي المسلك اليومي ، لم يضع الجماهير الفلسطينية امام ثورة وقيادة فلسطينية واحدة ، وانما وضعها امام قيادات وامام تنظيمات مختلفة وافكار مختلفة ومسالك مختلفة . وهكذا تمزقت الجماهير الفلسطينية بسبب هذا الواقع المزق من فوق . لم تستطع هذه الجماهير ، التي شعرت بأن العمل الفلسطيني اعطاها كرامتها بعد عشرين سنة من الذل في الواقع العربي ، واعطاها شخصيتها وانتماءها بعد عشرين سنة من الضياع ، لم تستطع هذه الجماهير ، التي أرادت بعاطفتها الجماهيرية الصادقة ان تعطي الكثير الكثير للعمل الفلسطيني ، لم تستطع ان تعطي هذا الكثير بسبب الفوضى القائمة في علاقتها مع التنظيمات الفلسطينية بسبب التعدد والتناقض في الفكر والمسلك اليومي ، بسبب عدم وجود قيادة فلسطينية واحدة وتنظيم فلسطيني واحد وقوات فلسطينية واحدة . لقد كانت الجماهير الفلسطينية اسبق ، في قدرتها وفي رغبتها في العطاء والدعم ، من محصلة واقع المنظمات الفلسطينية . وهذا الواقع نفسه ينطبق على الجماهير الاردنية باعتبار ان الساحة الطبيعية الاولى لاي عمل فلسطيني يريد ان يكون له احتكاك مباشر مع الارض المحتلة هي الساحة الاردنية . كان لهذه الجماهير رغبتها الهائلة في العطاء للثورة الفلسطينية لكن التعدد والتناقض القائم في الساحة الفلسطينية افسح المجال للقوى المضادة للثورة الفلسطينية ولاعداء الثورة الفلسطينية الممثلون بالسلطة الاردنية ، لان تدس بين الجماهير الاردنية وبين الثورة الفلسطينية الى ان نجحت في أن تحدث شرخا وانقساما بين هذه الجماهير وبين الثورة . كان بامكان العمل الفلسطيني ان يتغلب على محاولات السلطة ومؤامراتها لو لم يكن ممزقا ومتناقضا في فكره وفي سلوكه .

الشعب الفلسطيني ، كأي شعب من الشعوب الاخرى ، توجد فيه تيارات فكرية متعددة ، أليس من الطبيعي ان تعبر هذه التيارات الفكرية عن نفسها باشكال تنظيمية مختلفة في مرحلة حارة جدا من مراحل النضال مثل مرحلة تحرير الارض ؟

هذا السؤال طرح اكثر من مرة وفيه نوع من المغالطة . لماذا ؟ لا يستطيع احد ان يلغي افكار الناس وعقولهم . والشعب الفلسطيني ، سواء باعتباره جزءا من الامة العربية او باعتباره يعيش مشردا في أرجاء الوطن العربي ، لا بد له وان يتأثر بالواقع العربي من الناحية الفكرية . لذلك كان من الطبيعي ان تنتقل الى الشعب الفلسطيني الاراء والعقائد الفكرية والسياسية الموجودة في الوطن العربي والتي تبدأ بالاقليمية الضيقة وتنتهي بالاممية . المشكلة ليست هنا ، ليست في تعدد الافكار والعقائد وفي تعدد التعبيرات التنظيمية عن هذه الافكار والعقائد . فهذا امر طبيعي انما المشكلة كانت في عدم فهم المرحلة التي يمر بها النضال الفلسطيني . فمن المفروض ان يكون لكل مرحلة هدف يعطى الاولوية على الاهداف الاخرى المرتبطة بالمراحل القادمة خصوصا اذا كانت المرحلة الحالية تكاد تكون منفصلة الى حد كبير عن المرحلة القادمة ، اي مرحلة الانتصار . ان الشعب الفلسطيني يمر في مرحلة التحرر الوطني ولكن هذه المرحلة لها مواصفات خاصة تميزها تميزا كبيرا عن مرحلة التحرر الوطني للشعوب الاخرى كالصين وفيتنام . فالشعب الفلسطيني لا يعيش على ارضه ولا مجتمع له ولا دولة ولا مؤسسات دولة ولا قانون ، بينما في الصين مجتمع ودولة وكل مقومات المجتمع والدولة . ومع ذلك ، فاننا نلاحظ انه عندما كانت الصين ترزح تحت الاحتلال الياباني في الثلاثينات ، كانت تعتبر ان تلك المرحلة هي مرحلة التخلص من الاحتلال الياباني فكرست كل الجهد لخدمة هذا الهدف الى ان تمكنت من تحقيقه رغم تناقض الافكار الموجودة داخل المجتمع الصيني . وبعد ذلك بدأت مرحلة جديدة هي مرحلة الصراع مع الاحتكارات والنفوذ الاميركي الموجود في الصين عبر تشان كاي شك . وفي فيتنام مجتمع متكامل ومع ذلك وضع هدف اساسي هو تخليص فيتنام